وكانت وفاتُه في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان ثِقَةً[١].

السنة السابعة وخمس مئة

فيها استوزر المستظهر أبا منصور الحسين بن الوزير أبي شجاع، وخَلَعَ عليه خِلَع الوِزارة وأوصله إليه. وولَّى محمدُ شاه بِهْرُوزَ الخادم شِحنكية بغداد، فقامتِ الهيبة[٢].

[وفيها استشهد الأمير مودود بجامع دمشق، وسنذكره][٣].

وفيها عاد جواب الأفضل إلى طُغْتِكين يتضمَّنُ الشكر له في حديثِ صور، ويقول: إنَّ هذا الأمر وقعَ مِنا أجملَ موقع وأحسنَ مَوْضع. وبعَثَ الأُسطول فيه المِيْرَةُ، ومالُ النَّفقة للعساكر والغَلَّات، وكان مقدَّمُهُ شرفَ الدَّوْلة بدرَ بنَ أبي الطَّيِّب الدِّمشقي الوالي ـ كان ـ بطرابُلُس عند تَملُّك الفرنج لها، فَرَخُصَتِ الأسعارُ، واستقامتِ الأمور، [وزال طمع الفرنج عن صور][٣]، وكان معه خِلَعٌ فاخرة من صاحب مِصر لطُغْتِكِين، وولدِهِ تاج الملوك بُوري، ولخواصِّه، ولمسعود والي صور[٤].

وراسل بغدوين مسعودَ يسأله الموادعة [والمسالمة ليحسم أسباب الأذى من الجانبين][٣] فأجابه [إلى ذلك][٣]، وانعقد الأمر بينهما على السَّداد، [وصُلْح الفئتين][٣]، واستقامتِ الأمور، وأمِنَتِ السُّبُل، ودَبَّ التُّجَّار من جميع الأقطار.

وكان ابنُ السُّلْطان تُكُش بن ألب أرسلان قد هَرَبَ من محمد شاه إلى الشَّام، فلم يقبله رِضوان [صاحب حلب][٣] ولا [أتابك][٣] طُغْتِكِين، فتوجَّه إلى مِصر، فلقي من الأفضل ما أَحَبَّ من الإحسان والإكرام، فأقامَ عنده[٥].

---

(١) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٥، و«الكامل» ١٠/ ٤٩٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»، لابن القلانسي: ٣٠٠-٣٠١.

(٥) كان ابن تكش قد توجه أولاً إلى طنكري صاحب أنطاكية، ثم بعد وفاته توجه إلى مصر، انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٢، ٣٠١.

[وفيها توفي رضوان صاحب حلب، وسنذكره][(١)].

وفيها عامَلَ جماعةٌ من الباطنية من أهل فامية ومعرَّة النُّعمان، ومَعَرَّة مَصرين على حِصن شَيْزَر في فِصحِ النَّصارى، فَوَثَبَ فيه مئة راجل على حين غَفْلةٍ من أهله، فملكوا الحِصن وأخرجوهم منه، وأغلقوا أبوابه.

وكان بنو مُنْقِذ قد خَرَجوا لمشاهدة عيد النَّصارى، وبلغهم الأمر، فجاؤوا ـ [وكانوا قد أحسنوا إلى هؤلاء الذين وثبوا، وإنما رتَّبوا ذلك في المدة الطويلة][(١)] ـ ودلَّى الحُرَمُ الحبالَ من القَلْعة، واستقوا الرِّجال، وفتحوا [الأبواب][(٢)]، وصَعِد الأُمراء بنو مُنقِذ فقاتلوهم فذلُّوا، فقتلوهم عن آخرهم، وقتَلُوا كلَّ مَنْ كان على رأيهم في البَلَدِ من الباطنية، ووقع الاحتراز في مِثْل ذلك.

وقيل: إنَّ بني منقذ كانوا يخرجون إلى الصَّيْد، فقالت الباطنية: الصَّوابُ أن يتخاصَمَ مِنا اثنان، ونَصعد إلى القلعة ولنا بها جماعة، فلما صَعدا فَطِنَ النّاس، فَغَلَّقوا الأبواب وقتلوهم، ثم احترزَ بنو منقذ فما كان يغيب واحدٌ إلا ويحضُر آخر[(٣)].

وحجَّ بالنَّاس زَنْكي أخو البُرْسُقي[(٤)].

وفي ذي الحِجة جَهَّزَ السُّلْطان محمد شاه ولده مسعود إلى الشَّام لقتال الفرنج، وكَتَبَ إلى ملوك الأطراف، ثم عَرَضَ أمرٌ مَنَعَ من ذلك.

وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد بن الحسين[(٥)]

ابن علي بن موسى، أبو علي البيهقي، ووالده[(٦)] الإمام أبو بكر أحمد صاحب التَّصانيف.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (ع) و(ب) الباب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٥.

(٥) له ترجمة في «التحبير» للسمعاني: ١/ ٨٣ ـ ٨٥، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٥ ـ ١٧٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) في (ع) و(ب): وولده، وهو تصحيف، والصواب ما هو مثبت من «المنتظم»: ٩/ ١٧٥، وقد سلفت ترجمة والده أبي بكر في وفيات سنة (٤٥٨هـ).

ولد إسماعيل سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مئة، وسافر الكثير، ولقي الشُّيوخ، وسكن خُوارَزْم قريباً من عشرين سنة، ودرَّس بها، ثم مضى إلى بَلْخ، فأقام بها مُدَّة، وَوَرَدَ بغداد، وورد نَيسابور في هذه السنة، ثُمَّ خرج إلى بيهق فتوفّي بها، وكان إماماً فاضلاً حَسَنَ الطَّريقة، صدوقاً، ثِقَةً[١].

[فصل وفيها توفي][٢]

رِضْوان بنُ تاج الدَّوْلة تُتُش

صاحب حلب، ويلقب بفخر الملك [وقد ذكرنا سيرته في السنين][٢]، وكان ملكه بحلب سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة بعد قتل أبيه، وكان المستولي على أمره جناح الدولة حسين، ففارقه، وكان رضوان غير محمود السِّيرة، وهو أول من بنى بحلب دار الدعوة وقتل أخَوَيه: أبا طالب، وبَهْرام [ابني تاج الدولة تُتُش][٣]، وقتل خواصَّ أبيه واحداً بعد واحدٍ.

وكان ظالماً، بخيلاً شحيحاً، قبيح السيرة، ليس في قلبه رحمة ولا شفقة على المسلمين، وكانتِ الفرنجُ تغار[٤] وتسبي، وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم، ومَرِضَ أمراضاً مُزْمنة، ورأى العِبَرَ في نفسه، وتوفي في الثامن والعشرين من جُمادى الآخرة.

وترك [ولداً صغيراً اسمه][٥] ألب أرسلان وعمره ست عَشَرَة سنة، وكان أخرسَ في كفالةِ لؤلؤ الخادم، [والغالبُ على ملك حلب مِثْل هذا؛ أن يموتَ صاحِبُها ويتولَّى أمرَ

(١) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وقد سلفت أخباره في أثناء هذا الجزء، وانظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٦/ ٢٥٧، و«بغية الطلب» لابن العديم: ٨/ ٣٦٥٩ ـ ٣٦٦٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٣١٥ ـ ٣١٦، وانظر ترجمة ابنه ألب أرسلان في «تاريخ ابن عساكر» ٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١، و«بغية الطلب» ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) كذا في (ع) و(ب) و(م): ولم أر من استعمل هذا الفعل، وصوابه تغير.

(٥) في (ع) و(ب): وترك ولده ألب أرسلان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

ولدِهِ الصغير بعضُ مماليكه من زمنِ سيف الدولة إلى هلم جرا. وكان رضوان قد بنى دار الدَّعوة، وأطمعهم في حلب، فلما ماتَ أشار البديعُ رئيسُ حلب على لؤلؤ والصبي بقتلِ كل مَنْ في حلب منهم، وأغلق][1] باب دار الدَّعوة، فخاف لؤلؤ والصبي، وجَسَرَ عليهم البديع، فَقَتَلَ منهم خَلقاً كثيراً، فخافَ الصبيُّ، فسارَ في خواصِّه [وغِلْمانه][2] إلى دمشق، فأكرمه طُغْتِكِين، وأجلسه على تَخْتِ عمِّه دُقاق بقلعة دمشق، وأقام عنده مُدَّة، فأحسنَ ضيافته، وقدَّم له ألطافاً كثيرة، وسأل طُغْتِكين أن يمضي معه إلى حلب [ليدبِّر][3] أموره. فمضى معه، ودبَّر أموره، وعاد إلى دمشق، فكثُرَ فسادُ الصَّبيِّ، ودَسَّ إلى أخويه مَن قَتَلَهما بعدما حَبَسَهما، وأساء السِّيرة، [وأفسد][2] واغتال النَّاس يقتلهم[4]، فاستوحشَ منه لؤلؤ، وخاف أن يقتلَه، فامتنع من الاجتماع معه[5].

[وقد ذكره أبو يعلى ابن القلانسي، فقال: وفي سنة سبع وخمس مئة في جمادى الآخرة وردت الأخبار بمرضٍ عَرَضَ لرضوان صاحبها][6] ومات في التاريخ المذكور، [وقال:][2] وخلَّف في خزانته من العين والعَرُوض والأواني ما تقديره ست مئة ألف دينار، وتقرَّر الأمرُ بعده لولده ألب أرسلان [وعمره ست عشرة سنة][7] وفي كلامه حُبْسة وتمتمة، وأمه بنت الأمير يغي سغان، صاحب أنطاكية، فقبض على جماعةٍ من خواصِّ أبيه، فَقَتَلَ بعضاً، وأخذ مالَ بعض، ودبر الأمرَ معه خادمُ أبيه لؤلؤ، فأساء كلُّ واحدٍ منهما التَّدبير، وقبَضَ على أخويه مَلِك شاه من أُمِّه وأبيه، ومبارك من جاريةٍ، وقتَلَهما.

---

(١) في (ع) و(ب): وكان أخرس في كفالة لؤلؤ الخادم، فأشار البديع رئيس حلب بقتل الباطنية وغَلْقِ باب دار الدعوة، وما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) في (ع) و(ب): يدبر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٤) في (م) و(ش): فقتلهم.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٦) في (ع) و(ب): وقال ابن القلانسي: عرض لرضوان مرض، ومات في التاريخ المذكور، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وقد كان أبوه رضوان في مبدأ أمره فَعَلَ مِثْلَ فِعْله؛ قَتَلَ إخوته من تاج الدولة أبا طالب وبَهْرام شاه، وكانا على غاية من حُسْنِ الصُّورة، قال: فَفَعَلَ ولدُه بولديه مكافأةً عما فعل في إخوته][(١)].

وكان أمر الباطنية قد قوي بحلب، [واشتدَّت شوكته، وخاف البديع رئيس الأحداث بحلب، وأعيان البلد منهم][(١)]، وكان الحكيم المنجم [و][(١)] أبو طاهر الصَّائغ أوَّل مَنْ أظهر هذا المذهب بالشَّام في أيام رضوان، فمال إليهم خَلْقٌ كثير، من جبلِ السُّمَّاق وسَرْمِيْن[(٢)] والمَعَرَّة وتلك النَّواحي، فقرر البديعُ رئيسُ الأحداث بحلب مع ألب أرسلان الإيقاع بهم، فَقَبَضَ على أبي طاهر الصَّائغ، ومَنْ دَخَلَ معه، وهم زُهاءُ مئتي نفس، وقتَلَ في الحال أبا طاهر [الصائغ][(١)] وإسماعيل الداعي، وأخا الحكيم المنجم وأعيانهم، وحَبَسَ بعضهم، واستصفيتْ أموالُهم، ومنهم من رُمي من أعلى القلعة، ومنهم من خُنِقَ وقتل، وهرب بعضُهم إلى الفرنج، وتفرَّقوا في البلاد، وَدَعَتْ ألب أرسلان الحاجةُ إلى من يدبره، فراسل طُغْتِكين فلم يُجِبْه، فَخَرَجَ بنفسه إلى دمشق في رمضان، فخدمه أتابك، [وقام في خدمته على ما ذكرنا][(١)]، وسار معه إلى حلب، فأقام يُدَبِّر أموره، فحبس الصَّبيُّ جماعةً من أصحابه منهم وزيرُ أبيه الفَضْل بن الموصول ـ وكان محمود السِّيرة مشهوراً بفعل الخير ـ وقبض أعيانَ عسكر أبيه، فحين رأى أتابك أموره على غير السَّداد، [وبان له اختلال التدبير وفسَاد الحال][(١)]، عاد إلى دمشق ومعه والدة [الملك رضوان بسؤالها ورغبتها في ذلك][(٣)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)

(٢) جبل السماق: هو جبل من أعمال حلب الغربية، وسرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ١٠٢، ٣/ ٢١٥.

(٣) في (ع) و(ب): ومعه والدة رضوان بسؤالها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠١ ـ ٣٠٣.

شُجاع بنُ أبي شجاع فارس بن الحسين[١]

أبو غالب الذُّهْلي.

ولد في رمضان سنةَ ثلاثين، وسَمِعَ الحديث الكثير، وكان مفيدَ أهلِ بغداد والمرجوع إليه في سماع الشيوخ، وتوفي في جمادى الأولى، ودُفِنَ ببابِ حَرْب، وكان ثِقَةً، مأموناً، ثَبْتاً، عارفاً بالحديث، ويورِّق للنَّاس.

قال عبد الوهَّاب الأنَمْاطي: دخلتُ عليه، فقال: توِّبني. فقلتُ: من أيِّ شيء؟ قال: كتبتُ شِعْرَ ابنِ الحَجَّاج[٢] سبعَ مرَّاتٍ.

محمد بن أحمد بن الحسين[٣]

أبو بكر الشَّاشي، الفقيه الشَّافعي.

ولد سنةَ سبعٍ وعشرين[٤]، وأربع مئة، وتفقَّه على جماعةٍ، وقرأ على ابن الصَّباغ كتابه «الشَّامل»، ودَرَّس بالنِّظامية، وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند أبي إسحاق الشِّيرازي.

وكان ينشد: [من الوافر]

تَعَلَّمْ يا فتى والعُودُ رَطْبٌ ... وَطِيْنُكَ لَيِّنٌ والطَّبْعُ قابِلْ

فَحَسْبُك يا فتى شَرَفاً وفَخْراً ... سكُوتُ الحاضرينَ وأنتَ قائِلْ

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ١٩٨، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٥٠٠، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١١ ـ ١٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ابن الحجاج: هو حسين بن أحمد بن محمد البغدادي، شاعر ماجن، توفي سنة (٣٩١هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٣) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٩، و«الكامل»: ١٠/ ٥٠٠، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢.

(٤) كذا في (ب) و(ع)، و«المنتظم»، و«الكامل»، وعند ابن خلكان والذهبي وغيرهما سنة تسع وعشرين، وهو الصواب، يؤيده ما نص عليه ابن عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٣، ذلك أنه قال: توفي وله ثمانٍ وسبعون سنة.

محمد بن أحمد بن محمد[١]

أبو المُظَفَّر الأَبِيْوَرْدِي، [من][٢] ولد معاوية بن محمد بن عثمان ابن عُتْبة ابن عَنْبَسَة ابن أبي سُفْيان صَخر بنِ حرب[٣].

كان عالماً بالأنساب وفنون اللغة والآداب، وسَمِعَ الحديث، ورواه، وصنف «تاريخ أبِيْوَرْد» و«المختلف والمؤتلف في أنساب العرب»، وغير ذلك.

وكان له الشِّعْر الرَّائق، [غير أنه][٤] كان فيه كِبْرٌ وتِيْه [عظيمان][٤] بحيث إنه كان إذا صلَّى يقول: اللهم مَلِّكْني مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها.

وكتب [مرَّةً][٤] قصَّةً إلى الخليفة، وعلى رأسها: الخادمُ المعاوي؛ يريد معاوية بن محمد بن عثمان، [فكره الخليفةُ النِّسبةَ إلى معاوية، وأمرَ بقشط][٥] الميم ورَدَّ القِصَّة، فبقيت: الخادم العاوي.

وتوفي بأصبهان، وكان ثِقَةً، ومن شِعْره: [من الطويل]

تنكَّرَ لي دَهْرِي ولم يَدْرِ أنَّني ... أَعِزُّ وأحداثُ الزَّمانِ تَهُونُ
وظَلَّ يُريني الخَطْبَ كيفَ اعتداؤه ... وبِتُّ أُرِيْهِ الصَّبر كيفَ يكُونُ[٦]

---

(١) له ترجمة في «الأنساب المتفقة»: ١٥١ ـ ١٥٢، و«الأنساب»: ١١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٦، و«معجم الأدباء»: ١٧/ ٢٣٤ ـ ٢٦٦، و«معجم البلدان»: ١/ ٨٦، و«الكامل»: ١٠/ ٥٠٠، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٤٩ ـ ٥٢، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) انظر نسبه في «الأنساب المتفقة» لابن طاهر القيسراني: ١٥١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقد طبع ديوانه بتحقيق الدكتور عمر الأسعد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ثم أعادت نشره مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٧، وهو صاحب القصيدة التي يقال إنه رثى بها القدس حين استولى الفرنج عليها سنة (٤٩٢هـ)، ومطلعها:

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراحمِ

وهي في «ديوانه»: ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٥) في (ع) و(ب) بن عثمان، فأمر الخليفة بقشط الميم، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «ديوان الأبيوردي»: ٢/ ٥٥.

[سمع إسماعيل بن مسعدة، وأبا بكر بن خلف، وأبا محمد السَّمَرْقندي، وأبا الفَضْل بن خيرون، وغيرهم][(١)].

محمد بن طاهر بن علي بن أحمد[(٢)]

أبو الفَضْل المَقدِسي، الحافظ، [وذكره جدي في «المنتظم» وابن السمعاني في «الذيل»، والحافظ ابن عساكر.

فأما جدي، فقال:] ولد سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مئة.

وأول ما سَمِعَ وكَتَبَ سنة سِتِّين، وسافَرَ، وسمع الكثير، وكان يحفظ الحديث، وله به مَعرِفة، وصنف فيه وفي غيره، إلا أنه كثير الوَهَم، وصنف كتاباً سمَّاه: «صفوة التصوف»، يضحك منه من [يراه][(٣)]، ويعجب من [استشهاده على مذاهب الصوفية بالأحاديث التي لا تناسب ما يحتج لمن نَصَره][(٤)]، وكان داوودي المذهب، فمن أثنى عليه فلحفظه الحديث، وإلا فالجرح أَوْلى به.

وقال محمد بن ناصر: لا يحتجُّ به، كان يذهب مَذاهبَ أهل الإباحة.

وذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدَّقَّاق، فأساء الثَّناء عليه جداً، ونَسَبَه إلى أشياء، وكذلك أساء الثَّناء عليه الحافظُ إسماعيل بن أحمد الطَّلْحي، وكان سيئ الرَّأي فيه.

وقال أبو معمر بن أحمد الأنصاري: أنشدنا لنفسه: [من البسيط]

دَعِ التَّصَوُّفَ والزُّهْد الذي اشْتغلتْ ... به جوارحُ أقوامٍ مِنَ النَّاسِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وفيهما: وكانت وفاته بأصبهان، وكان ثقة. قلت: وقد سلف ذلك في سياق ترجمته، فأغنى عن تكراره، وانظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٥/ ٤٨١ ـ ٤٨٣، و«المنتظم» ٩/ ١٧٧ ـ ١٧٩، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٣ ـ ١٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٦١ ـ ٣٧١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ب) و(ع): رآه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ب) و(ع): ويعجب من استشهاداته بالأحاديث التي لا تناسب، وكان داوودي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وَعُجْ عـلـى دَيْـرِ[١] داريَّـا فـإنَّ بـه الـرُّهـبـانَ مـا بَـيْـنَ قِـسِّـيْـسٍ وشَـمَّـاسِ
واشْـرَبْ مُـعَـتَّـقـةً مِـنْ كَـفِّ كـافِـرَةٍ تسقيك خَمْرَيْنِ من لَحْظٍ ومن كاسِ
ثُـمَّ اسْـتَـمِـعْ رَنَّـةَ الأَوْتـارِ مِـنْ رشـأٍ مُـهَـفْـهَـفٍ طَرْفُهُ أمضى من الماسِ
غَنَّى بشِعْرِ امْرئٍ في النَّاس مُشْتَهرٍ مُـدَوَّنٍ عـنـدهـم فـي صَـدْرِ قِـرْطـاسِ
لـولا نـسـيـمٌ بـذِكـراكُـمْ يُـرَوِّحُـنـي لـكـنـتُ مُـحـتَـرِقـاً مِـنْ حَـرِّ أنـفـاسـي

[وكانت[٢] وفاته في ربيع الأول، ودفن بمقبرة العقبة[٣] بالجانب الغربي عند رباط البِسْطامي، ولما احتضر جعل يردد هذا البيت: [من المتقارب]

ومـا كـنـتُـمُ تـعـرفـون[٤] الـجَـفَـا فـمـمـن تـرى قـد تـعـلـمـتُـمُ

هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»[٥] عن محمد بن طاهر.

وذكره الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»، فقال: كان ابنُ طاهر يُعْرَفُ بابنِ القَيْسَراني، طافَ الدُّنيا في طلب الحديث، وسمِعَ بالعراق والشَّام ومِصر وخُرَاسان والجبل، وقدِمَ دمشق في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة، فسَمِعَ أبا القاسم بن أبي العلاء، وبمصر إبراهيم بن سعيد الحَبَّال، وأبا الحسن الخِلعي وغيرهم، وله مصنفاتٌ كثيرة إلا أنه كثير الوَهَم، وله شِعرٌ حسن مع أنه ما كان يُحْسِنُ النحو.

---

(١) في (ع) دار، والمثبت من (ب).

(٢) جاء في (ع) و(ب) في آخر الترجمة:

توفي ابن طاهر في ربيع الأول، ودفن بمقبرة العقبة بالجانب الغربي عند رباط البسطامي، ولما احتضر جعل يردد هذا البيت:

وما كنتمُ تعرفون الجفا فممن ترى قد تعلمتمُ

وكان يعرف بابن القيسراني، وطاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع بالعراق والشام ومصر وخراسان والجبل، وقدم دمشق، وما كان يحسن النحو، وله شعر حسن.

قلت: وفي هذا تداخل بين ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم»، وما ذكره ابن عساكر في «تاريخه»، وقد آثرت تقديم ما بين حاصرتين من (م) هنا لتستقيم الترجمة مع ما ورد في المصدرين اللذين ألمع إليهما سبط ابن الجوزي في صدر الترجمة، وليكون بناء الترجمة أقرب إلى ما كتبه السبط، وفي ذلك دليل أيضاً إلى أن ما بين أيدينا من مرآة الزمان هو المختصر منه.

(٣) كذا في النسخ الخطية ومطبوع «المنتظم»، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«وفيات الأعيان»: في المقبرة العتيقة، وهو الصواب.

(٤) في (م) تعلمون، والمثبت من (ع) و(ب).

(٥) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٧ ـ ١٧٩.

قال: وأنشدني أبو جعفر حَنْبل بن عليّ البخاري الصُّوفي، قال: أنشدنا أبو الفَضْل محمد بن طاهر لنفسه]: [من الطويل]

إلى كم أمَنِّي النَّفْسَ بالقُرْبِ واللِّقا ... بيومٍ إلى يومٍ وشَهْرٍ إلى شَهْرِ
وحتَّامَ لا أحظى بِوَصلِ أَحِبَّتي ... وأشكو إليهمْ ما لَقِيْتُ مِن الهَجْرِ
فلو كان قلبي مِنْ حديدٍ أذَابَهُ ... فِراقُكُمُ أو كان مِنْ أصلَبِ الصَّخْرِ
ولما رأيتُ البَيْنَ يزدادُ والنَّوى ... تَمَثَّلْتُ بيتاً قِيْلَ في سالِفِ الدَّهْرِ
متى يستريحُ القَلْبُ والقلبُ مُتْعَبٌ ... ببَيْنٍ على بَيْنٍ وهَجْرٍ على هَجْرِ

[قال الحافظ: وأنشدنا أيضاً لابن طاهر][1]: [من المتقارب]

خَلَعْتُ العِذار بلا مِنَّةٍ ... على مَنْ خَلَعتُ عليه العِذارا
وأصبحتُ حيرانَ لا أَرْتَجي ... جِناناً ولا أتَّقي فيه نارا

وقال [الحافظ][2] ابنُ عساكر: سمِعْتُ أبا العلاء الحسن بن أحمد الهَمَذاني يقول: ابْتُلي محمدُ بنُ طاهر بهوى امرأةٍ من أهل الرسداق، وكانت تسكن قريةً على ستَّةِ فراسخَ مِنْ هَمَذَان، فكان كلَّ يوم يذهب إلى قريتها فيراها تَغْزِلُ في ضَوْء السِّراج، ثم يرجع إلى همذان، فكان يمشي في كلّ يومٍ وليلة اثني عَشَرَ فرسخاً[3].

المُؤْتَمن بن أحمد بن علي[4] بنِ الحسن[5]

أبو نَصر السَّاجي، المَقْدِسي.

---

(١) في (ع) وقال أيضاً من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٥/ ٤٨١ ـ ٤٨٣.
قلت: وجاء في (ع) و(ب) عقب هذا ما ذكرته في الحاشية رقم٢ من الصفحة السالفة.

(٤) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (خ) و(س): ١٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٩ ـ ١٨٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٨ ـ ٢٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٠٨ ـ ٣١١، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٥) كذا في النسخ الخطية و«المنتظم»، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة» و«طبقات علماء الحديث» و«السير»: الحسين، وهو الأشبه.

ولد سنة خمس وأربعين وأربع مئة. وسَمِعَ الحديث، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي، ورحل إلى أصبهان والشَّام وخُراسان والجبال، ومازال يسمع ويستفيد إلى أن مات ببغداد في صَفَر، ودُفِنَ بباب حَرْب.

وكان حافظاً، ثقة، صدوقاً، عارفاً بالحديث معرفةً جيدة[١]، حَسَنَ القراءة، صحيح النقل مع شَرَفِ نَفْسٍ، وقناعةٍ، وصبرٍ على الفقر[٢].

وكان الإمام أبو عبد الله الأنصاري إذا رآه يقول: لا يمكن أحد أَنْ يكذبَ على رسولِ الله ﷺ وهذا حيٌّ[٣].

[فصل: وفيها توفي

الأَمير مودود][٤] صاحب المَوْصِل

قد ذكرنا أنه جاء إلى الشَّام لمساعدة أتابك طُغْتِكِين، وكَسَرَ الفرنج، وعاد مع أتابك إلى دمشق، ونَزَلَ في المَيْدان الأخضر، وكان يدخُل كل جُمُعةٍ إلى دمشق، فيصلِّي بالجامع، ويتبرَّك بمُصحَف عثمان رضوان الله عليه، فدخل الجامع على عادتِهِ، ومعه أتابك، والغِلْمان حوله بالسُّيوف المُسَلَّلة، وأنواع السِّلاح، وأتابك بين يديه خدمةً له، فلما حَصَلا في صَحْنِ الجامع وَثَبَ رجلٌ من بين النَّاس لا يُؤبه له، ولا يُحْفَلُ به، فَقَرُبَ من مودود كأنَّه يدعو له ويتصدَّق منه، فلزم بَنْدَ قَبائه، وضَرَبَه بخنجر أسفلَ سُرَّته ضربتين إحداهما نَفَذَتْ إلى خاصرته، والأُخرى إلى فَخِذه، والسُّيوف تأخذه من كلِّ ناحية، وقطِعَ رأسُه ليعرف شخصه، فما عُرِفَ وأُحرق، وعدا أتابك خُطُوات وقتَ الكائنة، وأحاطَ به أصحابه، ورَجَعَ إلى مودود وهو يمشي، فتماسك ووقعَ عند الباب الشّمالي من الجامع، وحُمِلَ إلى دار أتابك، وخِيْط جُرْحُه، فعاشَ ساعاتٍ يسيرةً، ومات من يومه، فَقَلِقَ أتابك لوفاته على هذا الوَجْه، وحَزِنَ حُزْناً شديداً، وكذا سائر النّاس، ودُفِن بمشهدٍ داخل باب الفراديس، وشَرَعَ أصحابُه في العَوْدِ إلى المَوْصِل

(١) في (ع): له معرفة جيدة، والمثبت من (ب).

(٢) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٧/ ٢٥٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وغيرِها من البلاد، وأمر لهم أتابك بإطلاق ما يستدعونه لسفرهم، واستصحبوا معهم أموالَه وجواريَه، وأسبابه، ولم يزل مدفوناً حتى بعثتْ زوجتُه وولدُه من المَوْصِل في شهر رمضان مَنْ حَمَلَه في تابوتٍ إلى المَوْصِل، وشيَّعه أتابك إلى الثَّنِيَّة[١].

وكان سأله أتابك يوم جُرِحَ أَنْ يُفْطر وكان صائماً، فلم يفعل، وقال: والله لا لَقِيْتُ الله إلا صائماً.

وكتَبَ بغدوين ملك الفرنج إلى طُغْتِكِين: إنَّ أمةً قتلَتْ عميدَها في يوم عيدها في بيتِ معبودها لحقيقٌ على الله أن يبيدَها[٢].

وقيل: إنَّ هذه الواقعة كانت سنة خمسٍ وخمس مئة، وذكر بعضُهم أَنَّ أتابك خافَ منه فوضَعَ عليه مَنْ قَتَلَه، وليس بصحيحٍ، فإنَّه كان أَحَبَّ النَّاس له، وحَزِنَ عليه حُزْناً عظيماً، وشَقَّ ثوبه عليه، وجَلَسَ في عَزَائه سبعةَ أيام، وتصدَّق عنه بمالٍ جزيل.

وبلغ السُّلْطان [محمد شاه][٣] ما جرى، فأقطع المَوْصل والجزيرة لآق سُنْقُر البُرْسُقي، وأمره بتقديم عمادِ الدِّين زَنْكي [والد نور الدين محمود رحمة الله عليه][٣] والرجوع إلى إشارته لما ظَهَرَ منه من النَّهْضة والكفاية ويُمْنِ النَّقيبة[٤].

السَّنة الثَّامنة وخمس مئة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالجزيرة، هَدَمَتْ مُعْظَمَ أسوار الرُّها وحَرَّان، ووقعتْ دورٌ كثيرة، وحرقتِ الفرات، فهدمت في بالس مئة دار، وقلبت بنصف القلعة، وخَسْف بسُمَيْساط وغيرها[٥].

---

(١) هي ثنية العُقاب: وهي في طريق القاصد من دمشق إلى حمص، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ٢٨٥، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) انظر «الباهر»: ١٩، و«الكامل»: ١٠/ ٤٩٧، و«كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) وهم سبط ابن الجوزي في قوله: فأقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقي، وقال نحو ذلك ابن الأثير في «الكامل» ١٠/ ٥٠١، أما في «الباهر»: ١٩ ـ ٢٤ فقد ذكر أن الذي ولاه السلطان الموصل بعد مقتل مودود هو جيوش بك، وسير معه ولده الملك مسعود، ثم إنه جهز آق سنقر في العساكر، وسيره إلى قتال الفرنج، وكتب إلى عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه، فساروا وفيهم عماد الدين زنكي، ثم لما توفي السلطان محمد سنة (٥١١هـ)، وولي ابنه السلطان محمود ولَّى آق سنقر الموصل وأعمالها سنة (٥١٥هـ)، وأمره بحفظ عماد الدين زنكي، والوقوف عند إشارته، وانظر تفصيل ذلك أيضاً في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٦ ـ ١١٣ بتحقيقي.

(٥) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٨٠ ـ ١٨١.